ثم وأخيراً أن يطبع على قلوبهم جزاء في الأولى بما كانوا يعملون: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[١] ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[٢] ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٣] ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾[٤].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾[٥] ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾[٦].

وهكذا نرى أنّ الإضلال من الله لا يعني الدفع إلى الضلال، ولا سيما للمهتدين والحائرين، وإنما ترك وإهمال وامهال للضالين فيزدادوا ضلالاً على ضلال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[٧].

ثم الإفعال كما تأتي لنقل الفعل من لازم إلى متعدٍّ، كذلك تأتي لمجرد الوجدان[٨] فـ ﴿أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾[٩] قد تعني: وجده الله ضالاً، ثم ولم يهده فاستمر على ضلاله!

كما ونسب الإضلال إلى نفسه بما هدى فلم يهتدوا وزادوا ضلالاً: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾[١٠] فدعاء

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٥.
(٢) سورة يونس، الآية: ٧٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠١.
(٤) سورة غافر، الآية: ٣٥.
(٥) سورة المنافقون، الآية: ٣.
(٦) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.
(٨) كما يقال: سألناكم فما أبخلناكم: فما وجدناكم بخلاء - أتيت أرض فلان فأعمرتها: وجدتها عامرة.
(٩) سورة النساء، الآية: ٨٨.
(١٠) سورة البقرة، الآية: ١٠.

الحق تزيد المبطل ضلالاً بما يدفعه لتكذيبه وحرابه: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾[١].

فلا نجد في القرآن بأسره إضلالاً ظالماً إلهيّاً مسيّراً للضلال! فالناس في مجال الهداية الإلهية على ضروب:

١ - منهم من يقبل الهدى إذ يعرفها فيصدقها، فيزيده الله هدى على هدى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[٢].

٢ - ومنهم المستضعف الحائر الذي لا يجد حيلة ولا يهتدي سبيلاً، فأولئك قد يهديهم الله أو قد يعاملهم في الآخرة بالحسنى إذ كانوا قاصرين: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[٣].

٣ - ومنهم من يعرف الحق ويعانده فهل على الله أن يجبره على الهدى؟: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[٥] كلّا! إنه الاختيار في كلّ من الضلالة والهدى، ثم لكلّ زيادة جزاءً وفاقاً.

فآيات الاختيار في قبول الضلالة والهدى هي رأس الزاوية في مثلث الهدى تثبت التخيير وتنفي التسيير، وتكملة البحث تترى في طيّات آيات الضلالة والهدى.

---

(١) سورة نوح، الآية: ٦.
(٢) سورة مريم، الآية: ٧٦.
(٣) سورة النساء، الآيتان: ٩٨، ٩٩.
(٤) سورة النحل، الآية: ٩.
(٥) سورة السجدة، الآية: ١٣.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

سؤال استنكار وتقبيح بمن يكفرون بالله، وهذه التنقلات المقصودة من موت إلى حياة ثم موت وثم حياة تدل على فاعل عليم حكيم، فكل تطوّر بحاجة إلى مطوِّر، فإذا كان مقصوداً حكيماً فليكن المطوِّر قاصداً حكيماً، وهكذا تطورات الموت والحياة منذ البدء حتى الختام.

فمهما أنكر الكفار الحَياة بعد الموت، لم يهدِ لَهُمُ نكران الموت الأوّل ثم الإحياء عنه ثم الإماتة، مما يكفي دليلاً على وجود قدرة عليمة خلاقة حكيمة واحدة، وأن له الإحياء مرة أخرى كما أحيى في الأولى، فحجة الاستنكار هنا تشمل كافة المكلفين: ماديين ومشركين، وكتابيين وموحدين: الناكرين منهم ليوم الدين!

ولأن الخطاب هنا موجّه إلى الناس الأحياء، فليكن الموت فيه قبل الإحياء، لا موتاً عما هم فيه من الحياة الإنسانية ولا أيّة حياة، فقد كنا أمواتاً إذ كنا أجنَّة في بطون أمهاتنا، وقبل خلق الروح الإنسانية فينا مهما كنا أحياء بالروح النباتية، وبعضٍ من الحيوانية، حتى أتى دور الحياة الإنسانية بما أنشأ الله فينا خلقاً آخر: ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ للحياة الدنيا دون فصل، بعد ما تهيأ الجنين لتقبّل الروح الإنساني وكما توحيه «فـ» حيث تلمح بعدم الفصل.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد فصل فيه تعمرون، يميتكم عن الحياة الدنيا - وثم ماذا؟، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فهل للحياة البرزخية، حيث بعدها: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟ فإن الرجوع إلى الله هو الحياة الأخرى! علّه نعم: لمكان الرجوع هنا، وللآية الأخرى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[1] حيث الإحياء الأوّل هو - فقط - عن

(١) سورة غافر، الآية: ١١.

الموت الأوّل كما هنا، فالإحياء الثاني هو عن الموت الثاني نتيجة الإماتة الأولى، ثم لا معنى للإماتة الثانية إلّا أنها عن حياة ثانية تتوسط الحياتين: الأولى والأخرى، وهي الحياة البرزخية، فكما الإماتة الأولى إفناءٌ للحياة الأُولى فلتكن الثانية أيضاً إفناءً عن حياة مّا ثم الإحياءُ الثاني هو للحياة الأخرى.

وهذا اعتراف من جماعة أهل النار بإماتتين وإحياءين وهم في النار، بعد إذ كانوا لكلّ منها ناكرين: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾[1] إذ حصروا الموت بما عن الحياة الدنيا كما حصروا الحياة بها، فلا حياة بعدها وكما لا موت بعد الموتة الأولى! واعتراف أهل النار وهم في النار، بما أنكروه يوم الدنيا دونما ردّ عليهم، إنه مصدّق كواقع، حيث المتناقضان لا يجتمعان والقرآن بيان دون إجمال أو تقرير لضلال!

والترتيب الواقعي بين الإماتتين والإحياءين، إحياء عن الموت الأوّل، ثم إماتة عنها، ثم إماتة عن حياة تعيش هذه الإماتة، فإحياء إلى الحياة الأخرى، فلولا الحياة البرزخية لم تكن هناك إماتة ثانية.

فحالة الحياة البرزخية هي موت عن الحياة الدنيا - وليست موتاً مطلقاً - بل هي حياة مّا - تقبل الإماتة ثم الإحياء للحياة الأخرى.

ثم وعلّه لا! حيث الحياة البرزخية لا تحتاج إلى إحياء، فإنها حاصلة في الحياة الدنيا وفي الموت عنها، وهي بقاء الروح في البدن المثالي البرزخي، فلا تعني الإماتة عن الحياة الدنيا إلّا انفصال الروح ببدنه المثالي عن هذا البدن نهائياً، فتبقى ما تبقى من أصل الحياة برزخياً دونما حاجة إلى إحياء.

(١) سورة الدخان، الآية: ٣٥.

لذلك لا تجد مصارحة قرآنية بإحياء برزخي، وإنما الحياة والحياة فقط دونما إحياء!

ثم إنّ الرجوع إلى الله بعد الإحياء الثاني لا يخص الحياة الأخرى بعد الموت حتى يخص هذا الإحياء بما بين الأولى والأخرى، بل هو يعمّها وما بعدها من رجوع الحساب فالثواب والعقاب: كما ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[2] فهل الإعادة والبعث هما في البرزخ؟! وليس فيه إلّا استمرار الحياة الدنيا. مهما نجد آيات أخرى هنا تعني من الرجوع إلى الله الحياة الأخرى، ولكنه بعد هاتين ليس إلّا ما يعم الحياة الأخرى والانتقال إلى حياة الحساب، ولا حجة في آيتنا: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ... ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أنه الإحياء للأخرى، واستعمال العام وقصد الخاص دون دليل، خارجٌ عن مذهب الفصاحة فضلاً عن القرآن البالغ أعلى القمم فيها.

ومن ثم فـ﴿ثُمَّ﴾ قبل: يحييكم - الدالة على تراخي الإحياء عن الإماتة تدلنا دلالة رابعة أنها الحياة الأخروية النائية عن الموت كثيراً، لا الحياة البرزخية التي لا تنفصل عن الموت.

فعلى ضوء هذه الدلالة المربعة، ننتقل من: علّه نعم أو لا، إلى التأكدّ من عدم دلالة الآية على حياة برزخية، فهل إذاً تدل على نفيها؟ لمكان: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ ولا إحياء إلّا عن الموت، فليس هناك قبل الحياة إلّا الموت؟

في الحق أنه لا دلالة على نفيها كما لا تدل على إثباتها، حيث الحياة

(١) سورة الروم، الآية: ١١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.

البرزخية موت بالنسبة للحياة الأخرى - كما الحياة الدنيا موت بالنسبة لها - فكما يصح الإحياء عن الموت المطلق الذي لا حياة فيه - وهنا نفيٌ للبرزخ - كذلك يصح عن الموت النسبي: - البرزخي - وهو أحيى من الحياة الدنيا - وهنا إثباتٌ للبرزخ:

فعلى ضوء الآية الأخرى: ﴿أَمَتَّنَا... وَأَحْيَيْتَنَا﴾[1] حيث تثبت الحياة البرزخية، نفسر آيتنا هكذا: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أجنّة في بطون أمهاتكم قبل إنشاء الخلق الآخر ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بالحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عن الحياة الدنيا فصلاً للروح ببدنه المثالي عن هذا البدن ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ لحياة أخرى هي أرقى، إحياءً عن الحياة البرزخية التي هي موت وجاه الأخرى، أو إحياءً بعد الإماتة عن الحياة البرزخية - وهو أحق وأحرى - وكما تدل الآية الأخرى: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ حيث الإماتة الأولى إماتة عن الحياة الدنيا، فلتكن الثانية إماتة عن حياة أخرى إلى الحياة الأخرى، فلولا أنّ هناك حياةً وسطى: بين الدنيا والأخرى، لم يكن للإماتة عنها معنى!.

فالفرق بين الآيتين أنّ آيتنا لا تحمل إلّا إماتة واحدة، وموتاً قبل الحياة الدنيا، وفي الأخرى إماتتان، وحاصل جمعهما أنّ كلًّا من الموت والحياة ثلاث: موت قبل الحياة الأولى دون إماتة وهو الموت المطلق، وموت بالإماتة عن الحياة الأولى، وموتٌ بالإماتة عن الحياة البرزخية.

ثم: حياة بعد الموت الأوّل، وحياة بعد الإماتة عنها، وحياة بعد الإماتة عن الثانية: الحياة الأولى ثم الوسطى ثم الأخرى، وآيتنا هنا لا تتكفل إلّا بيان الحياة الأخرى، إذ تواجه الناكرين لها، لا البرزخية التي هي على هامشها، تثبت بعد ما تثبت هي الأخرى.

(١) سورة غافر، الآية: ١١.

فقيلة الناكرين للحياة البرزخية إن آيتنا تنكرها كما الآية الأخرى - وهي مثلها - لا تثبتها، حيث تشملان الموتتين والحياتين، إنها قولة فارغة هراء، حيث البون بيّن بينهما، وأنها موت وإماتة دون الأخرى: إماتتين، دلالة قاطعة هنا عليها، وسكوت هناك عنها!

فالقرآن يثبت الحياة البرزخية في قرابة عشرين آية نبحث عنها في طياتها، دون تصريح أو تلويح بإحياء فيها فإنها استمرارية للحياة الأولى بعد انفصال البدن عنها طالما يصرح في مئات الآيات بالإحياءين دنيا وأخرى، وتصرح آية وحيدة بإماتتين: تلويحة كتصريحة أن في البرزخ حياة، وإلّا فالإماتة الثانية عماذا؟!

هذا ولأن الإماتة الثانية لا تزعج الصالحين لا يأتون في الأخرى بذكرها إلّا تلميحاً: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩﴾[1] استثناء منقطع يعني أن لا موت في الآخرة، اللّهم إلّا الموتة الأولى في الأولى، فلولا الموتة الثانية لم تكن لصيغة الأولى من معنى.

وأما الكفار فتهمّهم الموتة الثانية وأكثر من الأولى، فإنها تنقلهم إلى دار البوار جهنم يصلونها فبئس القرار، ولذلك يصرحون بها دون المؤمنين، وفي تصريحة يوم الدين حجة عليهم، وحجة للمؤمنين يوم الدنيا تدليلاً على حياة برزخية بين الحياتين.

ثم هذا الخطاب العام: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يعني الحالة العامة السائرة لسائر الناس، لا الذين لهم حياة ثانية وإماتة أُخرى في الحياة الدنيا: ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ... فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[2] و﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن

(١) سورة الصافات، الآيتان: ٥٨، ٥٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

دِيَـٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَـٰهُمۡۚ﴾[١] ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَـٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ ۝٥٦﴾[٢] ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[٣] إحياءات وإماتات أخرى لبعض الناس، تدليلاً حسيّاً على أن وعد الله حق!

وترى كيف تحتج آيتنا على منكري المبدأ والوحي بنكران المعاد؟ لأنها تحمل دليل التطور بعد ما ثبت المبدأ والوحي بما مضى، قرن الدليل الحسي إلى العقلي إذا فـ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾؟!.

ثم الموت هنا ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ من باب العدم والملكة لا عدم الملكة، فكما يصدق على من مات عن حياة، كذلك الموت البدائي الذي تلحقه حياة، فلا يقال لما لا يقبل الحياة ميّت، وإنما لما يقبلها كما هنا، أو ما يستقبلها كما في الموت بعد الحياة، و﴿أَمۡوَٰتٗا﴾ هنا تعني الموت الثاني حيث الأول تخصُّ لفظة الإماتة دون ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾.

ثم الرجوع إلى الله له درجات يتدرجها الراجعون، ابتداءً من الموت في حياة برزخية فيها ثواب وعقاب مؤقت نظرة الأخرى، ثم الحياة الأخرى، ثم إلى موقف الحساب الختامي فالجزاء، فنحن إذاً في مثلث الرجوع إلى الله، وكما آياته تشملها أحياناً: ﴿هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٤] وبعض منها بعضاً كما آيتنا و﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٥] ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾[٦] حيث تدل على قاعدة مثلث الرجوع: موقف

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٥٥، ٥٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٣.
(٤) سورة يونس، الآية: ٥٦.
(٥) سورة الروم، الآية: ١١.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.

الحساب، ومن ثم لا نجد تصريحة في الرجوع الثاني فحسب اللّهم إلّا لمحات: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾[١] حيث الإنباء بما عملوا بعد الرجوع إلى الله هو رجوع الحساب بعد رجوع الحياة ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾[٢] وعلّها صريحة في الثاني.

وترى أن الرجوع الثالث بعيد عن الثاني ولذلك يعطف عليه بتفريع البعيد ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟.

أقول: نعم: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣] وطبعاً هو بعد زمني بالنسبة لنا، وأما الله فلا: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤] فلا مناحرة بين «فـ وثم» لاختلاف المقامين، ثم لا نجد ﴿ثُمَّ﴾ إلّا في ثنتين بين إحدى عشر آية[٥] مما يؤكد القرب إلهيّاً، مهما كان بعيداً عندنا.

وهكذا نرى في آية قصيرة واحدة تُفتح سجلّة الحياة كلها ثم تُزوى وتُطوى معروضة في ومضة لقبضة الباري جلّ وعلا، ينشرها من همدة الموت قبل أيّة حياة، ثم يقبضها بهدمة الموت بعد حياة، ثم يُحييها مرة أخرى في الأخرى، ثم إليه ترجعون.. في استعراض سريع يرسم أدوار الموت والحياة، مذكّرة للمغفلين الناكرين لقاعدة الحياة!

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٤.
(٢) سورة ق، الآية: ٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.
(٥) العشرة الأخرى هي: ٣: ٥٥ - ٥: ٤٨ - ٥: ١٠٥ - ٦: ١٦٤ - ١٠: ٢٣ - ٢٩: ٨ - ٣١: ١٥ - ٣٩: ٧ - ٦: ١٠٨ - ٣١: ٢٣.
ثم الثانية المذكورة فيها ﴿ثُمَّ﴾ ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ [يونس: ٧٠].

ثم ينتقل بنا إلى جوٍّ أوسع من هذه الحياة، في نعم وامضة رغم غامضة الحياة:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

هنا يرتفع بنا ربُّنا من حمأة هذه الأرض وحياتها المغمورة المحصورة في معمورتها، إلى السماء والسماوات، وليرفعنا عن هذه المحدودة فنجنح بأفكارنا ومحاولاتنا وتصرفاتنا إلى عليّات الكون، ولنعرف أنه تعالى وتقدس خلقنا لأمر عظيم، أعظم من خدمة الأرض المتعة وسماواتها، فإنها كلها مخلوقة لنا، مستعبداً لها لصالحنا دون أن نعبد الآلة ونعشو عن ذكر خالق الآلة وغايتها، رغم دعايات أنصار المادة، المنغمسين في نزواتها المنطمسين عن غاياتها، المحقّرين دور الإنسان فيها، فكرامة الإنسان وسيادته واستعلاؤه على الكون لغاية معرفة الله، والحياة مع الله، وطاعة الله، هي القيم القمة من وراء هذه الآيات.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وهل من خالق إلّا الله ﴿خَلَقَ لَكُم﴾: الناس كل الناس - ﴿لَكُم﴾ كأصل ولسائر الخلق وحتى الجان كفرع.

وتراه ﴿لَكُم﴾ - فقط - تعني هذا النسل الأخير؟ كما ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[١] ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[٢] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[٣] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٤]

(١) سورة النمل، الآية: ٦٠.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ١٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.